ولا يظنن احد ان موقف شاعرنا نابع من كونه نصرانياً ، فقد شارك ، بعد انكشاف امر الانكليز وافتضاح استعمارهم ، في مقاومة الانتداب وما جره من ويلات الصهيونية على فلسطين ، كما نرى في بعض نماذج شعره ، فيما بعد . ولكن كل ما في الامر ان غالبية العرب كانت قد نقمت على الاتراك لظلمهم ، فرحبوا باعدائهم بصفتهم منقذين ، وشجعهم على ذلك تحالف الشريف حسين معهم واعلانه الثورة الى جانبهم . وخدعتهم اعلانات الحلفاء ووعودهم ، ومبادىء ويلسون في الحرية والاستقلال ، فلم يكن الامر مقصورا على المسيحيين في هذه البلاد ، اذ ان غالبية الزعامات العربية التي انضمت الى الشريف كانت من المسلمين . وهذا الشيخ علي الريماوي[٦] الذي كان احد اعضاء البَعثة التعليمية التي سيرها جمال باشا الى (فروق) عاصمة السلطنة في ايلول عام ١٩١٥ ، لتؤكد للترك عواطف العرب القديمة ، ولتكون داعية نصر ، وتنقل الاخبار الى الاقطار العربية ، له خلال هذه الرحلة شعر كثير في مدح رجالات السلطنة ، وجمعية الاتحاد والترقي[٧] ، نسمعه يستجير بالملك جورج في عيد ميلاده يوم ٣ حزيران (يونيه) ، ١٩١٨ ، فيقول معبرا عن الموقف العام من بريطانيا :

العرب انت رجاؤها ... والعرب ليس لها سواك
حالفتها فرضاؤها ... فيما تشاء لها رضاك
فأعِد لها تاريخها ... ذاك القديم ، فقد دعاك[٨]

فنحن نحس ان شعور بعض الناس ازاء بريطانيا ، في هذه الفترة المبكرة من الاحتلال ، شبيه بشعور الاسير نحو من خلصه من اسره ، فكانوا ينظرون اليها كدولة عظمى ، تتظاهر بالحرية وتدعي انقاذ الشعوب وصداقتها ، فلم تدخل فلسطين غازية كما دخلت مصر مثلا ، بل دخلت متظاهرة بصداقة العرب والتحالف معهم ، مما خدع الناس وضللهم عن نواياها الحقيقية فترة من الزمن ظلت تستغل خلالها ، الثقة بها ، كأن الناس ظلوا يحسبون تصرفاتها ، بحكم طبيعة الفترة في اعقاب الحرب ، وانه يمكن مواجهتها بفيض الإحتجاجات لردها الى الطريق السوي ، مما جعل المقاومة العربية الحقيقية تتأخر بضع سنين بعد الاحتلال . وكانت بريطانيا بعد ان تيقنت من النصر ، وقبل اتمام احتلال فلسطين ، قد اصدرت تصريح بلفور في ١٩١٧/١١/٢ ، وعدا مخلصا بالعطف على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وبذلك لم تكن تسدل أستاراً على آخر الحروب الصليبية كما أعلن ابنها ، القائد اللنبي ، عند دخوله القدس في نهاية عام ١٩١٧ ، وانما كانت ترفع الستار عن فصل سيطول تمثيله على مسرح الاراضي المقدسة ، تدور احداثه حول غزوة صهيونية أُعِّد لها ، بمشاركة بريطانيا ، بإحكام وتنسيق كاملين . ومن هنا كانت نظرتها الى حلفائها العرب وكأنهم اعداء ، في الوقت الذي تحولت فيه الحكومة الى آلة صماء في يد اليهود الذين اصبحوا يعتقدون ، في هذا الدور ، : « انهم اصحاب البلاد ، وان العرب ليسوا الا ضيوفا لا حقوق سياسية لهم فيها ؛ فاذا اختاروا البقاء في فلسطين ، ففي ذمام اليهود ... بل مِنَ اليهود مَنْ عَجِبَ كيف لم يقوِّض العربُ خيامهم ويرحلوا ، ومنهم من عتب على الحكومة انها تبذل شيئا من العنَاية بالصحة العامة ، وكان من رأيه ان يترك العرب وشأنهم الى ان ينقرضوا ...[٩] . وعن مثل هذا نقرأ لوديع البستاني ، في مقطوعة قصيرة ساخرة بعنوان « جنة اليهود » ، على على اعتبار فلسطين « ارض الميعاد » حسب معتقداتهم